الصباح الإسلامية
09
العدد 2228 - السنة الثامنة
الاحد 17 شوال 1436 - الموافق 2 اغسطس 2015
Sunday 2 August 2015 - No.2228 - 8th Year

الله عز وجل شرّع لها أحسن الأحكام وأرقاها وأرحمها بها

المرأة.. دور ومكانة في الإسلام

شرع الله لنا نظاما اجتماعيا فريدا من نوعه لا إفراط فيه ولا تفريط

أساء الغرب إلى الحياة الاجتماعية إساءة كبيرة وامتهن المرأة وحط من مكانتها الشيء العظيم

الضبابية والغموض اللذان اصابا النظام الاجتماعي في الإسلام عند المسلمين بسبب الأفكار المغرضة التي حرص الغرب على ترويجها من أجل النيل من الإسلام بإشاعة فكرة إخفاق الإسلام في معالجة القضايا الاجتماعية ومواكبة التقدم والتطور حتى كادت بعض الأذهان تظن أن النظام الاجتماعي في الإسلام محصور في الزواج والتعدد والطلاق والحجاب وفقط. - وتلك الأفكار التي روج لها الغرب من أن الإسلام قد عطل نصف المجتمع وأساء للمرأة وحرمها من الحياة العامة فرسم صورة سوداوية للنظام الإسلامي حتى وصل الأمر ببعض المسلمين أن تأثروا بتلك الدعاوى فخرجوا عن أحكام الإسلام بل وهاجموه مثلما فعل الترابي.

فكان لا بد لنا من إعطاء تصور عام حول النظام الاجتماعي في الإسلام وعلاقة الرجل بالمرأة في المجتمع ودور المرأة في الحياة الإسلامية حتى يدرك المسلمون أن الله قد شرع لهم أحسن الأحكام وأرقاها وأرحمها بالمرأة والرجل، وحتى يدرك المضبوعون بالغرب أن فساد الحياة الاجتماعية عندنا وعند الغرب وانحطاط العلاقات في المجتمع واضطرابها ما هو إلا بسبب النظام الرأسمالي المطبق في بلادنا منذ ما يقارب المئة عام.

فلقد أساء الغرب إلى الحياة الاجتماعية إساءة ما بعدها إساءة وامتهن المرأة وحط من مكانتها الشيء العظيم، فقد أفسد على الناس حياتهم وأورثهم الهلاك والضنك الشديد بعد أن حول المرأة إلى سلعة تعرض في المنتديات والملاهي والمقاهي وحتى المحلات التجارية، فقد أصبحت المرأة عندهم تقيم بمقدار إرضائها للزبائن وقدرتها على إغرائهم حتى إنهم لم يعودوا يستحون من اشتراط حسن المظهر والجمال في أية وظيفة شاغرة للمرأة متجاهلين أن للمرأة قيمة إنسانية ووظيفية تماما كالرجل بغض النظر عن مظهرها، رغم أنهم يحاولون أن يبرروا شرطهم بأمور واهية ولكن الحقيقة أنهم امتهنوا المرأة وحطوا من قدرها.

واستغلوا المرأة في المجتمع حين نظروا إليها نظرة اقتصادية جشعة فوجدوا فيها حلا قليل التكلفة فرسخوا في ذهنها أنه يجب عليها أن تجاري الرجل في كل شيء فأرهقوها وحملوها ما لا تطيق، فلم تعد قادرة على التوفيق بين بيتها وعملها فلا بيتا انصفت ولا عملا اتقنت.

فصار من جراء ذلك التفكك الأسري سمة من سمات المجتمعات الرأسمالية، حتى على مستوى الأسرة النواة. وانتشر الفحش والفجور وغابت العفة والطهارة عن المجتمع فاصبحت الإحصائيات تتحدث عن عشرات حالات الاغتصاب وآلاف حالات الزنا والخيانة الزوجية في الدقيقة الواحدة حتى صار أكثر أبناء المجتمعات الغربية أبناء بلا آباء، فغابت السعادة والطمأنينة من المجتمع حتى باتت أندر من الكبريت الأحمر يحاول الكل جاهدا أن يجد شيئا منها في نهاية الأسبوع أو الأعياد والحفلات وما هو بملاقيها.

فقد جاء في كتاب الإحصاء الوطني الصادر عن إدارة الاقتصاد والإحصاء في مصلحة التجارة الأمريكي:

أن في كل دقيقة في الولايات المتحدة الأمريكية، هناك 1.3 حالة اغتصاب لنساء بالغات، وتغتصب 78 امرأة في كل ساعة في الولايات المتحدة الأمريكية أي ما يقارب 57000 امرأة شهريا.. هذا وقد نتج عن الدراسة التي أجريت في إحدى الجامعات الأمريكية مؤخرا أن 25% من الإناث اللاتي أجريت عليهن الدراسة إما أنهن تعرضن للاغتصاب أو أنهن تعرضن إلى محاولة اغتصاب. وقد تبين أن نسبة التحرش الجنسي في الولايات المتحدة الأمريكية هي العليا بين الأمم المتقدمة صناعيا في العالم. وفي عام 1990 تعدى عدد حالات الاغتصاب في الولايات المتحدة الأمريكية 100000 حالة اغتصاب، وهي أعداد في تنام طبعا منذ ذلك الحين.

هذا وقد صدر عن معهد الدراسات الدولية حول المرأة، ومقره مدريد، التقرير السنوي المسمى بـ قاموس المرأة، وقد جاء فيه:

في عام 1980م: كان هناك (1.553000) حالة إجهاض، 30 % منها لدى نساء لم يتجاوزن العشرين عاما من أعمارهن، وقالت الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف ذلك.

وفي عام 1982 م: 80% من المتزوجات منذ 15 عاما أصبحن مطلقات.

وفي عام 1984م: 8 ملايين امرأة يعشن وحدهن مع أطفالهن ودون أية مساعدة خارجية.

وفي عام 1986م: 27% من المواطنين يعيشون على حساب النساء.

وفي عام 1997م: بحسب قول جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة اغتصبت امرأة في كل 3 ثوان في المجتمعات الرأسمالية الراقية على حد زعمهم، بينما ردت الجهات الرسمية بأن هذا الرقم مبالغ فيه في حين أن الرقم الحقيقي هو حالة اغتصاب كل 6 ثوان!

وفي عام 1997م: (6) ملايين امرأة عانين سوء المعاملة الجسدية والنفسية بسبب الرجال، 70% من الزوجات يعانين الضرب المبرح، و4 آلاف يقتلن كل عام ضربا على أيدي أزواجهن أو من يعيشون معهن وذلك في غالبيته العظمى في المجتمعات الرأسمالية الديمقراطية.

وأن 74% من العجائز الفقراء هم من النساء، 85% من هؤلاء يعشن وحيدات دون أي معين أو مساعد.

ومن عام 1980 إلى عام 1990م: كان بالولايات المتحدة وحدها ما يقارب مليون امرأة يعملن في البغاء.

وفي عام 1995م: بلغ دخل مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية 2500 مليون دولار.

وفي الولايات المتحدة فقط 1400 ملجأ للنساء المضروبات، أو الهاربات من أزواجهن، وهن اللاتي لا يجدن ملجأ عند أهل أو أقارب.

و هذا وغيره الكثير الذي نتج عن تطبيق المبدأ الرأسمالي والديمقراطي.

والحقيقة أن الحديث عن مظاهر فساد الحياة الاجتماعية في ظل النظام الرأسمالي يطول فقد لزكم فسادها الأنوف، واكتوى بناره أكثر المسلمين من جراء تطبيق أحكام النظام الرأسمالي في مجتمعاتنا، فاكتظت المحاكم بالشكاوى الزوجية والأسرية، وبانت معدلات الطلاق في ارتفاع مستمر، والعنف الأسري في ازدياد، ونسبة العوانس في نمو. ولا أظن أن أحدا من المسلمين إلا أصابه شر أو شرر من النظام الرأسمالي.

لذلك كان حريّاً بالمضبوعين بالغرب وحضارته أن يعيدوا التفكير ملياً في هذا الواقع الفاسد الذي انتجته حضارة الغرب، والذي يحاول الغرب تصديره لنا من خلال الحكومات والمؤسسات والجمعيات والمفكرين موهما إياهم أن فساد المجتمعات عندنا هو بسبب الإسلام، رغم أن الكل يعلم أن الإسلام غائب عن التطبيق في بلاد المسلمين منذ هدم دولة الخلافة عام 1924م وأن الغرب لديه من المشكلات أضعاف أضعاف ما عندنا رغم عدم تطبيق شيء من أحكام الإسلام، فالمشكلة في الرأسمالية والديمقراطية ولا شك، فلم الافتراءُ على الإسلام؟!

أما الإسلام الذي غاب تطبيقه عن الحياة منذ ما يقارب المئة عام فقد بنى حياة اجتماعية راقية وأحسن تنظيم علاقة المرأة بالرجل، فكرم المرأة وأنزلها المنزلة التي تليق بها ووفر لها حياة كريمة تحسدها عليها نساء الدنيا كلها، حيث وصل إلى حد أن شبه الإسلام النساء بالقوارير وأمر بالرفق بهن.

ولإعطاء تصور حول الصورة التي رسمها الإسلام للمرأة نتناول المحاور التالية:

أولا: النظرة الإنسانية والعيش المشترك:

لقد خلق الله الإنسان امرأة أو رجلاً في فطرة معينة تمتاز عن الحيوان، فالمرأة إنسان، والرجل إنسان، ولا يختلف أحدهما عن الآخر في الإنسانية، ولا يمتاز أحدهما عن الآخر في شيء من هذه الإنسانية. وقد هيأهما لخوض معترك الحياة بوصف الإنسانية، وجعلهما يعيشان حتماً في مجتمع واحد، وجعل بقاء النوع متوقفا على اجتماعهما، وعلى وجودهما في كل مجتمع. فلا يجوز أن ينظر لأحدهما إلا كما ينظر للآخر، بأنه إنسان يتمتع بجميع خصائص الإنسان ومقومات حياته، وقد خلق الله في كل منهما طاقة حيوية، هي نفس الطاقة الحيوية التي خلقها في الآخر وجعل في كل منهما قوة التفكير وهي نفس قوة التفكير الموجودة في الآخر. فالعقل الموجود عند الرجل هو نفس العقل الموجود عند المرأة إذ خلقه الله عقلا للإنسان، وليس عقلا للرجل أو للمرأة.

ثانيا: مسألة المساواة بين الرجل والمرأة

حين جاء الإسلام بالتكاليف الشرعية التي كلف بها المرأة والرجل، وحين بيّن الأحكام الشرعية التي تعالج أفعال كل منهما، لم ينظر إلى مسألة المساواة أو المفاضلة بينهما أية نظرة، ولم يراعها أية مراعاة. وإنما نظر إلى أن هناك مشكلة معينة تحتاج إلى علاج، فعالجها باعتبارها مشكلة معينة بغض النظر عن كونها مشكلة لامرأة أو مشكلة لرجل. فالعلاج هو لفعل الإنسان أي للمشكلة الحادثة، وليست المعالجة للرجل أو للمرأة. kta.gif: ﴿قُل يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

ولهذا لم تكن مسألة المساواة أو عدم المساواة بين الرجل والمرأة موضع بحث. وليست هذه الكلمة موجودة في التشريع الإسلامي، بل الموجود هو حكم شرعي لحادثة وقعت من إنسان معين، سواء أكان رجلا أم امرأة.

وعلى هذا ليست المساواة بين الرجل والمرأة قضية تبحث، ولا هي قضية ذات موضوع في النظام الاجتماعي، لأن كون المرأة تساوي الرجل، أو كون الرجل يساوي المرأة ليس بالأمر ذي البال الذي له تأثير في الحياة الاجتماعية، ولا هو مشكلة محتملة الوقوع في الحياة الإسلامية، وما هذه الجملة إلا من الجمل الموجودة في الغرب، ولا يقولها أحد من المسلمين سوى تقليد للغرب، الذي كان يهضم المرأة حقوقها الطبيعية باعتبارها إنسانا فقد مضى على الغرب قرون طويلة وهو يعتبر المرأة شرا وأنها لا تنزل منزلة الإنسان، فطالبت بهذه الحقوق واتخذ هذا الطلب بحث المساواة طريقا لنيل هذه الحقوق. وأما الإسلام فلا شان له بهذه الاصطلاحات لأنه قام نظامه الاجتماعي على أساس متين يضمن تماسك الجماعة والمجتمع ورقيهما وسعادتهما واستقرارهما واطمئنانهما، ويوفر للمرأة والرجل السعادة الحقيقية اللائقة بكرامة الإنسان الذي كرمه الله.

ثالثا: نظرة الإسلام لما يجب أن تكون عليه نظرة كل من الرجل والمرأة إلى الآخر.

لقد حرص الإسلام على تصحيح نظرة الرجل للمرأة والمرأة للرجل فجعل النظرة نظرة إلى التعاون والعيش المشترك وحال بين أن تتحول هذه النظرة إلى نظرة ذكورة وأنوثة إلا حين التفكير بالزواج. وحرص الإسلام على الحيلولة دون وجود أجواء وعوامل إثارة النظرة الجنسية في المجتمع، وجعل التعاون بين الرجل والمرأة في شؤون الحياة وفي علاقات الناس بعضهم مع بعض أمرا ثابتا في جميع المعاملات، فالكل عباد الله، الكل متضامن للخير ولتقوى الله وعبادته.

وشرع مجموعة أحكام لضمان بناء النظرة بناء سليما على التعاون والعيش المشترك وليس على نظرة الذكورة والأنوثة والجنس، من مثل وجوب غض البصر على كل من المرأة والرجل حيث kta.gif: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ و ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾، وأوجب اللباس الكامل المجتمع للمرأة kta.gif ﴿يا أيها النبيُ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ ومنع الخلوة فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم) وحرم التبرج وإبداء الزينة للرجال الأجانب. kta.gif: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليُعلَم ما يُخفين من زينتهن﴾ وقال: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن...﴾ إلى آخر الآية الكريمة

وحرص على أن تكون جماعة النساء منفصلة عن جماعة الرجال في الحياة الخاصة والحياة العامة ففصل بين المرأة والرجل حتى في الصلاة والخروج من المسجد، ولم يستثن من وجوب الانفصال في الحياة العامة والحياة الخاصة إلا ما جاء نص واستثناء. فأجاز لها البيع والشراء والأخذ والعطاء وأوجب عليها الحج وأجاز لها حضور صلاة الجماعة وإن كانت هذه الأفعال تقتضي الاجتماع فيجوز لأجلها الاجتماع في حدود العمل وفي حدود أحكام الشرع.

جاء الإسلام بالتكاليف الشرعية التي كلف بها الجنسين دون تفرقة

النساء شقائق الرجال

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها.

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها.

وإذا كانت أما كان برّها مقرونا بحق الله- تعالى- وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله، والفساد في الأرض.

وإذا كانت أختا فهي التي أمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها.

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة.

وإذا كانت جدة، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها، وأحفادها، وجميع أقاربها؛ فلا يكاد يرد لها طلب، ولا يُسفّه لها رأي.

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك.

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتبارا لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة.

من الأدلة العلمية القرآنية المكتشفة حديثاً

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ»

لا تزال آيات الله تترى.. والمشركون في غيهم يعمهون

قام العلماء مؤخراً بدراسة الطين الحار المتواجد بالقرب من أماكن البراكين فوجدوا أنه يحوي نسبة عالية من عنصر البوتاسيوم وعنصر الصوديوم وبعض العناصر المغذية الضرورية لحياة الخلايا الحية.

فقد نشر الكاتب Dave Mosher في موقع تأشيونال جيوغرافيك [1] مقالاً حول نشوء الحياة في الطين الحار وبخاصة في تربة البراكين الملتهبة! فقد وجد العلماء أن هذا التراب المخلوط بالماء وعند درجات حرارة عالية فإنه يحوي كميات كبيرة من عنصر البوتاسيوم، وهذا ما لفت انتباه الباحثين حيث أن الخلايا الحية تحوي كمية كبيرة من عنصر البوتاسيوم، هذا التشابه ربما يكون مؤشرا على أن الحياة نشأت في البراكين!

إن البيئة البركانية الحارة غنية بالمواد المغذية التي تحتاجها الخلايا للتشكل، وما يدعم هذا الرأي أن العلماء عثروا على كائنات بدائية تعيش وتتغذى على الينابيع الحارة وبخاصة في أعماق المحيطات، وبالقرب من البراكين..

إن السائل الموجود في الخلايا يشبه ذلك السائل الموجود في أبخرة البراكين الحارة. هذه البيئة الحارة الغنية بالكالسيوم والصوديوم والمواد المغذية الأخرى تتشابه مع تركيب الخلايا الحية، بينما فرضية أن الحياة نشأت في البحار فغير منطقية لأن بيئة المحيطات لا تحوي نسب عالية من البوتاسيوم كما هو الحال في تربة البراكين.

ويقول الباحث Armen Mulkidjanian من جامعة University of Osnabrück بألمانيا: إن البروتينات داخل الخلايا تحتاج لمستوى عال من البوتاسيوم، وهذا المستوى يتوافر بالقرب من التراب حول الينابيع الحارة والبراكين والحمم المنصهرة...

نظرية تطور إسلامية

المشكلة بالنسبة لداروين أنه اعتبر أن المخلوقات جاءت بالمصادفة وبعد ذلك أراد أن يعطي تفسيرا علمياً لوجود هذه المخلوقات على الأرض من دون خالق! وبناء على هذا الافتراض وضع نظرية التطور. فالنظرية لم تراعي وجود إله عظيم للكون، بل افترضت مسبقاً عدم وجود إله. ولذلك بقيت هذه النظرية في حالة تخبط حتى اليوم، ولم تفسر أي شيء بشكل منطقي..

الهم الأساسي كان تفسير الكون من دون خالق!

بالنسبة لنا كمسلمين لا مشكلة في أن نقبل أن خلايا جميع الكائنات لديها تركيب متشابه، لأن هذا دليل على أن الخالق واحد سبحانه وتعالى.. ولكن المشكلة في التفاصيل.

فنحن نعتقد أن الإنسان خُلق بطريقة خاصة تختلف عن بقية الكائنات الحية على الأرض، والتشابه بين خلايا الإنسان وخلايا القرد مثلاً لا علاقة له بتطور أحدهما من الآخر، بل هذا التشابه يدل على أن الخالق واحد.

فالله عز وجل خلق سيدنا آدم.. وهو أول البشر من طين وبطريقة خاصة حيث نفخ فيه من روحه، خلقه بطريقة معقدة تفوق قدراتنا العقلية، وليس هناك أي مبرر علمي للقول بأن الإنسان جاء نتيجة تطور القرد عبر ملايين السنين.

ولو كانت عملية التطور صحيحة لاستطعنا تفسير كيفية حدوث هذا التطور، لأن العلماء لا زالوا عاجزين عن معرفة كيف تطور الإنسان من قرد، وما هي العمليات التي تمت خلال هذا التطور، والسبب ببساطة أن هذا التطور لم يحدث أبداً!!

والخلاصة أن التشابه في عالم المخلوقات والتدرج في أشكال هذه المخلوقات ليس دليلاً على أنها تطورت من بعضها، بل هو دليل على أن الله تعالى أبدع هذه المخلوقات بطريقة رائعة، فجاءت متشابهة في تركيبها، ومتدرجة وفق نظام مقدر ومحكم ويشهد على دقة الصانع عز وجل.

إن العلم عندما يصل إلى وجود تشابه بين تركيب الخلايا الحية وبين الطين الحمار، فهذا يدل على أن الإنسان خُلق من طين حمار، وصفه الله تعالى بالحمأ المسنون. وليس لدينا مشكلة أن تكون جميع الكائنات الحية خُلقت من طين، فهذا لا يناقض القرآن..

والآن دعونا نتأمل بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن خلق الإنسان، وكيف جاءت مطابقة لما يكتشفه العلماء اليوم.

قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) [الحجر: 26]، والصَّلْصَال : طين يابس لم تصبه النار، أو طين مخلوط برمل. والحمأ: جمع حمأة، وهو الطين المتغير إلى السواد.